

أضواء البيان

. @ 100 @

قرأه نافع وابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي وشعبة عن عاصم : قُلْ أو لو جئتمكم بضم القاف وسكون اللام بصيغة الأمر . .

وقراه ابن عامر وحفص عن عاصم ، قَالَ أو لو جئتمكم بفتح القاف واللام بينهما ألف بصيغة الفعل الماضي . .

فعلى قراءة الجمهور فالمعنى قل لهم يا نبي الله أتقتدون بآبائكم في الكفر والضلال ، ولو جئتمكم بأهدى ، أي بدين أهدى مما وجدتم عليه آبائكم ، وصيغة التفضيل هنا لمطلق الوصف لأن آباءهم لا شيء عندهم من الهداية أصلاً . .

وعلى قراءة ابن عامر وحفص : فالمعنى قال هو : أي رسول الله صلى الله عليه وسلم . .

وقد أوضحنا هذا المعنى بشواهد العربية مراراً في هذا الكتاب المبارك . .

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من تسفيه رأي الكفار وبيان شدة ضلالهم في تقليدهم آباءهم

هذا التقليد الأعمى ، جاء موضحاً في آيات كثيرة كقوله تعالى في البقرة : { وَإِذَا

قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا

أَلْفَيْدْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ءَوَّلُوا قَالُوا كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً

وَلَا يَهْتَدُونَ } ، وكقوله تعالى في المائدة : { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا

إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا

عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ءَوَّلُوا قَالُوا كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَا

يَهْتَدُونَ } . .

وأوضح تعالى في آية لقمان أن ما وجدوا عليه آباءهم من الكفر والضلال طريق من طرق

الشیطان يدعوهم بسلوكها إلى عذاب السعير ، وذلك في قوله تعالى : { وَإِذَا قِيلَ

لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا

عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ءَوَّلُوا قَالُوا كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ

السَّعِيرِ } كقوله تعالى : { إِنَّ زَنْهَمُ أَلْفَوْا ءَابَاءَهُمْ ضَالِّينَ فَهُمْ

عَلَاءِ اثَارِهِمْ يَهْرَعُونَ } ، وقوله تعالى : { وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ

رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا

هَٰذَا التَّكَاثُفُ السَّيِّئُ أَلَمْ تَكُونُوا أَكْفَرُونَ قَالُوا وَجَدْنَا

ءَابَاءَنَا ءَوَّلُوا قَالُوا لَقَدْ كُنْتُمْ أَكْثَرُ بِرَاءً وَأَكْثَرُ كُفْرًا فَمِنْ ضَلَالٍ

مُّبِينٍ { والآيات بمثل ذلك كثيرة . قوله تعالى : { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ
لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَطَرَنِي فَلَا يَدِينُنِي شَيْءٌ } .